

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة الثامنة عشرة

صديقي المستمع، بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الأصحاح الثامن من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكان الرسول بولس قد تحدث في الأعداد الأولى من هذا الأصحاح عن تحرر المؤمن في المخلص المسيح من قيود الخطية وارتفاع دينونة الله عنه، وحصوله على الطبيعة الروحية الجديدة بواسطة روح الله القدوس. وأوضح الرسول بولس أيضاً أن باستطاعة المؤمن بالمخلص المسيح أن يرضي الله ويسلك بحسب ناموسه، وذلك لأن روح الله قد حل في كيانه. هذا الروح الذي سيقم أجساد المؤمنين من الموت كما أقام المسيح.

إزاء هذه الحقائق الروحية الهامة كيف يجب أن يكون موقف المؤمن بالمسيح تجاه الخطية والإثم؟ هذا ما أجابنا عنه الرسول بولس ابتداء من العدد الثاني عشر، إذ كتب قائلاً: "فإذا أيها الإخوة نحن مدينون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ولكن إن كنتم بالروح تميّتون أعمال الجسد فستحيون". إن المؤمن بالمسيح إذن مدين للروح القدس الذي حرره من قيود الخطية، ووهبه الحياة الروحية الجديدة. لهذا على المؤمن أن لا يسلك بحسب شهوات الطبيعة القديمة، والتي سماها الرسول بولس بحسب الجسد. بل على العكس، إذ على المؤمن أن يميت أو يحارب شهوات الجسد، ليس بقوته الذاتية هو، بل بقوة روح الله القدوس الذي حل في كيانه. وعندها سيربح الحياة بدل الموت.

لكن ألا يصبح للإنسان وضع خاص بالنسبة لله عندما يؤمن بالمخلص المسيح ويحل الروح القدس في كيانه؟ بالتأكيد، ولهذا كتب الرسول بولس في العدد الرابع عشر قائلاً: "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله". يبدو واضحاً أن كل إنسان يؤمن بالمسيح ويحل فيه روح الله القدوس، يصبح من أولاد الله. أي أن الله يتبناه ويغدو هو من أولاده. ولقد سبق للبشير يوحنا أن تحدث عن هذا الأمر في بشارته عندما كتب قائلاً: "وأما كل الذين قبلوه - أي قبلوا المسيح - فأعظاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله." (بشارة يوحنا ١: ١٢ و١٣)

حقا ما أعظم نعمة الله التي تخلص الإنسان الخاطيء وتجعله من أولاد الله. ولهذا تابع الرسول بولس في العدد الخامس عشر قائلا: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب." لقد انتهت الحياة القديمة بكل عبوديتها للخطية وخوفها من الله. وحل مكانها الروح القدس روح التبني أي البنوة، الذي يستطيع المؤمن من خلاله أن يتوجه إلى الله الآب كإبن داعيا إياه بابا أو والدي.

لكن ما هو الدليل أن المؤمن بالمخلص المسيح قد أصبح من أولاد الله؟ أجاب الرسول بولس عن هذا السؤال عندما كتب في العدد ١٦ قائلا: "الروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله." إذن إن الروح القدس نفسه الذي يحل في المؤمن عند إيمانه، هو الذي يؤكد له أنه أصبح من أولاد الله. وهذا الأمر لا يستطيع أن يدركه إلا الذين اختبروا خلاص الله.

لعل السؤال الذي يطرح الآن هو: ما هي الامتيازات التي يتمتع بها أولاد الله؟ هناك امتيازات كثيرة بالطبع. ولقد ذكر الرسول بولس بعضها في العدد السابع عشر إذ قال: "فإن كنا أولادا فإننا ورثة أيضا ورثة الله وورثة مع المسيح. إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضا معه." إن مفهوم الوراثة هو مفهوم قديم بالنسبة للكتاب المقدس. ففي العهد القديم وعد الله نسل يعقوب أو بني إسرائيل بوراثة أرض معينة. لكن الوراثة في العهد الجديد أصبحت أشمل وأعمق وأخذت بعدا جديدا. أجل أعزائي إن الوراثة لأولاد الله في العهد الجديد تعني أن يرث المؤمنون كل غنى الله. وأن يرثوا مع المسيح مخلصهم كل ما سيرثه. وإذا كان المؤمنون يتألمون مع المسيح الآن فإنهم سيرثون معه المجد الأبدي أيضا.

ولنلاحظ يا أعزائي أن الوراثة لم تعد مقتصرة على شعب معين أو نسل إبراهيم بالجسد كما كان الأمر في العهد القديم، بل أصبحت لكل من يؤمن بالمخلص المسيح. ولهذا كتب الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في غلاطية قائلا: "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة." أي ورثة المواعيد التي أعطيت لإبراهيم.

يبدو واضحا من الآية الأخيرة التي قرأناها أن المؤمنين بالمخلص المسيح سيواجهون ضيقات عديدة ومصاعب شتى، قبل أن يرثوا الأمجاد الأبدية المعدة لهم من قبل الله. هذا صحيح، ولكن هذه الآلام والضيقات تعتبر بسيطة جدا أولا تقارن بالنسبة للمجد العظيم الذي ينتظر المؤمنين في السماء. ولهذا كتب الرسول بولس ابتداء من العدد الثامن عشر قائلا: "فإني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا. لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله." أجل إن المجد الذي سيحصل عليه المؤمنون في السماء سيكون باهرا جدا، ويفوق أي وصف. وهو أعظم بكثير أو لا يقاس بالنسبة للآلام التي يمر بها المؤمنون في العالم اليوم. لا بل إن الخليقة كلها تنتظر حصول هذا الحدث المجيد حدث استعلان أولاد الله. أي حصول المؤمنين على الأجساد السماوية الممجدة.

ولذلك تابع الرسول بولس فقال في العدد ٢٠ و ٢١: "إذ أخضعت الخليقة للبطل. ليس طوعا بل من أجل الذي أخضعها. على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله." لقد أخضع الله الخليقة للبطل أي للفساد بعد سقوط الإنسان الأول في الخطية. إذ قال الله لآدم: "ملعوننة الأرض بسببك." (تكويين ٣: ١٧) أي أن الأرض أخذت نصيبها من خطية الإنسان. لكن الأرض ستحرر من الفساد وتتبارك مع حصول أولاد الله على المجد السماوي. فكما سقطت مع سقوط الإنسان سترتفع أيضا مع تحرير الإنسان.

ولهذا أضاف الرسول بولس في العدد ٢٢ و ٢٣ قائلا: "فإننا نعلم أن كل الخليقة تتن وتمخض معا إلى الآن. وليس هذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا ننن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا." إن الخليقة إذن تتن لكي تتحرر من الفساد. وكذلك المؤمنون بالمسيح فإنهم يتوقعون بالإيمان ذلك اليوم المجيد، عندما يتحررون من جسد الفساد الترابي، لكي يلبسوا الجسد السماوي الممجّد، الذي هو فداء الأجساد.

وتابع الرسول بولس في العدد ٢٤ و ٢٥ قائلا: "لأننا بالرجاء خلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء. لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضا. ولكن إن كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر." هذا هو رجاء وإيمان كل مؤمن حقيقي في المسيح، أنه سينال المجد الأبدي يوما ما، وعلى هذا الأساس قد خلص. وبما أن الرجاء أمر غير مرئي أو محسوس فإن المؤمن لا بد أن يتوقعه بالصبر. إن الصبر فضيلة لها منافع كثيرة إن تحلى بها الإنسان. فكم بالحري المؤمن بالمسيح الذي عنده كل الثقة والرجاء أنه سيدخل إلى الأمجاد السماوية، بالرغم من الآلام والتجارب التي يمر بها في العالم اليوم.

ألا تود يا صديقي أن تصبح من أولاد الله؟ أولا ترغب أن تتال هذا المجد العظيم الباهر في الأمجاد الأبدية؟ تعال بتوبة صادقة وإيمان قلبي بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب لكي يكفر عن ذنوبك، وقام من بين الأموات لكي يهبك الحياة الروحية الجديدة والخلود.